

## حب الدنيا رأس كل خطيئة

عناصر الخطبة:

المقدمة

الأدلة في التحذير من فتنة الدنيا والتعلق بها

نماذج من حياة النبي ﷺ

أضرار حب الدنيا وتعلق القلب بها

بعض وسائل التغلب على حب الدنيا وقطع القلب عن التعلق بها

التفصيل

المقدمة

اعلم أن الإسلام دين الاعتدال والاعتزان والوسطية، فليس العمل في مجاله مقصوراً على الدنيا، ولا مقصوراً على الزهد والآخرة، وليس هو دين رهبة وتقشف وإهمال للدنيا، ولا دين أخلاق وعبادة وعقيدة فحسب، وإنما هو دين شامل لمصالح الدنيا والآخرة، ويقترن فيه العمل والاعتقاد، والعبادة والاحتراف، والمادة والروح، قال الله تعالى: "قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ". [الأعراف: ٣٢].

فليس ممنوعاً على المسلم حب الدنيا ومظاهرها، ولكن الممنوع المبالغة والإسراف فيها، والاقتصار عليها، حتى تطغى على الناحية الدينية، وتهمل أمور الآخرة. (١)

ولذا وبَّخ الله سبحانه وتعالى الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، ويقصرون همهم عليها، فقال عز وجل: "رُئِيَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ" [آل عمران آية ١٤]. إن إثارة الحياة الدنيا والاعتزاز بها والخلود إليها يعد من أهم العوامل الأساسية التي تدعو إلى التكاثر في المال والجاه، ولذلك يظلَّ حبُّ الدنيا ملازماً للإنسان حتى مع كبر سنِّه واقتراب نذر الموت منه، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الْأَمَلِ ". (٢)

(١) التفسير الوسيط للزحيلي (١/ ١٧٨).

(٢) صحيح البخاري (٨/ ٨٩) رقم ٦٤٢٠.

إِنَّ النَّهْيَ عَنِ التَّكَاثُرِ النَّاشِيءِ عَنِ حُبِّ الدُّنْيَا لَا يَنْبَغِي بِحَالٍ أَنْ يَفْهَمَ مِنْهُ النَّهْيُ عَنِ اكْتِسَابِ المعاشِ أَوْ السَّعْيِ فِي طَلْبِ الرِّزْقِ، قَالَ تَعَالَى: "وَلَا تَتَسَنَّسْ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ". (القصص ٧٧)، يقول ابن الجوزي: وقد بالغ قوم في هجر الدنيا من غير بحث عن حقيقتها، وذلك أنه من لم يعرف حقيقة الشيء فلا يجوز أن يمدح أو يذم، فإذا بحثنا عن الدنيا رأينا هذه الأرض البسيطة التي جعلت قرارا للخلق، تخرج منها أقواتهم، ويدفن فيها أمواتهم، ومثل هذا لا يذم لموضع المصلحة فيه، وكل ما في هذه الدنيا من ماء وزرع وحيوان، كله لمصالح الآدمي وفيه حفظ لسبب بقائه، الذي هو سبب لمعرفته بربه وطاعته إياه، وما كان سببا لبقاء العارف العابد فإنه يمدح ولا يذم، فبان لنا أن الذم إنما هو لأفعال الجاهل المتكاثر، أو العاصي المفسد، أما إذا اقتنى المرء المال المتاح، وأدى زكاته، فلا لوم عليه. (٣)

الأدلة التي وردت فيها التحذير من فتنة الدنيا والتعلق بها

وأما المبالغة في حب الدنيا والتفاني في جمعها والحرص على تحصيلها فهذا الذي ورد ذمه في القرآن والسنة، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ". [لقمان: ٣٣].

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ بِأَلَّا تُلْهِبَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِزُخْرُفِهَا، وَزِينَتِهَا، وَمَتَاعِهَا، عَنِ الْعَمَلِ النَّافِعِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَوْمِ الْقِيَامَةِ هُوَ وَعْدٌ حَقٌّ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ أَبَدًا، كَمَا يَأْمُرُهُمْ بِأَلَّا يَغُرَّنَّهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَحْمِلَهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي بِتَزْيِينِهَا لَهُمْ.

وقال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ \* إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ". [فاطر: ٥ - ٦].  
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ وَعْدٌ حَقٌّ لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا مَرِيَةَ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، وَلَا تُلْهِبَنَّكُمْ بِزُخْرُفِهَا وَزِينَتِهَا، عَنِ طَلْبِ مَا يَنْفَعُكُمْ يَوْمَ حُلُولِ مَوْعِدِ الْحَشْرِ وَبَعْثِ الْخَلَائِقِ، وَلَا تَدْعُوا الشَّيْطَانَ يَغُرَّنَّكُمْ، وَيَفْتِنَنَّكُمْ، وَيَصْرِفَنَّكُمْ عَنِ اتِّبَاعِ رُسُلِ اللَّهِ، وَتَصْدِيقِ كَلِمَاتِهِ، فَإِنَّهُ غَرَارٌ كَذَّابٌ.

وبين مثل الحياة الدنيا بسرعة زوالها، فقال تعالى "إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ". [يونس: ٢٤].

ضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى مَثَلًا لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي جَمَالِهَا وَبَهْجَتِهَا، ثُمَّ فِي سُرْعَةِ فَنَائِهَا، بِالنَّبَاتِ الَّذِي أَخْرَجَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْأَرْضِ بِمَا أَنْزَلَهُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَطَرِ، مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ مِنْ زُرُوعٍ وَثِمَارٍ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا

(٣) صيد الخاطر لابن الجوزي (ص ١٨) بتصرف يسير.

وَأَصْنَافِهَا، وَمِمَّا تَأْكُلُ الْحَيَوَانَاتُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زِينَتَهَا الْفَانِيَةَ وَارْتَبَتْ بِمَا خَرَجَ فِي رُبَاهَا مِنْ زُهْرٍ نَضِرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ، كَمَا تَنْتَرِينُ الْعُرْسُ لَيْلَةَ زَفَافِهَا، وَظَنَّ أَهْلُهَا، الَّذِينَ زَرَعُوهَا وَعَرَسُوهَا، أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى جَزَائِهَا وَحَصَادِهَا، وَجَنِي ثَمَارِهَا، وَالتَّمَتُّعِ بِهَا، فَيَئِنَّمَا هُمْ يَأْمُلُونَ ذَلِكَ إِذْ جَاءَتْهَا صَاعِقَةٌ، أَوْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ بَارِدَةٌ فَأَيَّبَسَتْ أُورَاقَهَا، وَأَتَلَفَتْ ثَمَارَهَا، فَأَصْبَحَتْ كَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ حِينًا قَبْلَ ذَلِكَ، وَهَكَذَا يُبَيِّنُ اللَّهُ الْحَجَجَ وَالْآيَاتِ، لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، فَيَعْتَبِرُونَ بِهَذَا الْمَثَلِ، فِي زَوَالِ الدُّنْيَا عَنْ أَهْلِهَا سَرِيعًا، مَعَ اغْتِرَارِهِمْ بِهَا.

ويبين رب العالمين أدوات الخداع فيها فقال تعالى: "زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ \* قُلْ أُوْنِيْبِكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ دَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ". [آل عمران ١٤، ١٥].

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ فَطَرَ النَّاسَ عَلَى حُبِّ الشَّهَوَاتِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، مِنْ أَنْوَاعِ الْمَلَذَّاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ، وَالْأَمْوَالِ وَالْخَيْلِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ، وَهِيَ زَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَزِينَتُهَا الرَّائِلَةُ، وَهِيَ لَا تُقَاسُ بِمَا ادَّخَرَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ فِي الْآخِرَةِ، وَعِنْدَ اللَّهِ حُسْنُ الْمَرْجِعِ، وَعِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ. (٤)

ثم وجه الخطاب للنبي ﷺ بأن يبين للناس ويقول لهم أتريدون أن أخبركم بخير مما زين لكم في الحياة الدنيا من نعيمها الزائل؟ هو ما أعدّه الله تعالى للمتقين من عباده، الذين أحببوا إلى ربهم وأنابوا إليه، من جنات تتفجر في أرضها الأنهار، مخلدين فيها لا تزول عنهم أبداً، ولا يبغون عنها تحولاً، ولهم فيها أزواج مطهرة من الدنس والخبث والكيد وسوء الخلق، وغير ذلك مما يعترى النساء. ويعمهم رضوان الله فلا يسخط عليهم ربهم أبداً، والله بصير بالعباد، يعطي كل واحد بحسب ما يستحق من العطاء. (٥)

إن من أسباب الضلال شعور الإنسان إن هذه الحياة الدنيا مصادفة عمياء وأن الوجود بها ليس له هدف، قال سبحانه وتعالى رداً على من كان ذلك معتقدهم: "أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ" (المؤمنون آية: ١١٥).

وقال تعالى: "كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ \* وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ" (القيامة آية: ٢٠ . ٢١).

وحذر الرسول ﷺ من فتنها وخداعها، فعن عمرو بن عوف -رضي الله عنه-، وهو خليف لبني عامر بن لؤي، وكان شهد بدرًا مع النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ: بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتهما، وكان رسول الله ﷺ هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم

(٤) أيسر التفسير لأسعد حومد (ص: ٣٠٨، ص: ١٣٨٩).

(٥) الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل (ص: ٢٣٨).

أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافُوا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أَنْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَاهُمْ، ثُمَّ قَالَ: "أَطْنُكُمُ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ" قَالُوا: أَجَلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "فَأَبَشِرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَحْشَى عَلَيْكُمْ، وَوَلَكِنِّي أَحْشَى أَنْ تُبْسِطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بَسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ". (٦)

وعن المُسْتَوْرِدِ، أَخُو بَنِي فِهْرِ -رضي الله عنه- يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِضْبَعَهُ فِي النَّيْمِ، فَلْيَنْظُرْ بِمِ تَرْجِعِ إِلَيْهِ ". (٧)  
قال النووي: "ومعنى الحديث ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها وفناء لذاتها ودوام الآخرة ودوام لذاتها ونعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصبع إلى باقي البحر". (٨)  
وعَنْ كَعْبِ بْنِ عِيَاضٍ -رضي الله عنه- ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ، وَفِتْنَتُهُ أُمَّتِي الْمَالُ ". (٩)، (١٠)

وعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ -رضي الله عنه- ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ)) وَفِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ: ((لَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)). (١١)

بل تعود النبي ﷺ من فتنة الدنيا، فعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ -رحمه الله-، عَنْ أَبِيهِ -رضي الله عنه- ، قَالَ: تَعَوَّذُوا بِكَلِمَاتِ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَعَوَّذُ بِهِنَّ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجَبَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أُرْدَلِ الْعُمْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَعَذَابِ الْقَبْرِ)). (١٢)

(٦) صحيح البخاري (٨٥ / ٥) (٤٠١٥) وصحيح مسلم (٢٢٧٣ / ٤) (٢٩٦١).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٩٣ / ٤) رقم ٥٥ (٢٨٥٨) وأحمد في مسنده (٥٤١ / ٢٩) رقم ١٨٠١٢ وغيرهما.

(٨) شرح النووي على مسلم (١٧ / ١٩٢).

(٩) صحيح أخرجه أحمد في مسنده (١٥ / ٢٩) رقم ١٧٤٧١، و الترمذي (٢٣٣٦)، والبخاري في "التاريخ الكبير" ٢٢٢/٧، وابن أبي عاصم في "الأحاديث والمثاني" (٢٥١٦) وغيرهم وانظر السلسلة الصحيحة (١٣٩ / ٢) رقم ٥٩٢.

(١٠) يقول الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١١ / ١٠١) (٤٣٢٥): ففي هذا الحديث أَنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِهِ الْمَالُ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ فِتْنَةُ النِّسَاءِ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَكَانَ جَوَابَنَا لَهُ فِي ذَلِكَ: أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ: " مَا تَرَكَتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ أَضْرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ " هُوَ عَلَى الْفِتْنَةِ الَّتِي تَلْحَقُ الرِّجَالَ دُونَ النِّسَاءِ، وَفِي ذَلِكَ مَا قَدْ دَلَّ أَنَّهُ تَرَكَ ﷺ فِي أُمَّتِهِ فِتْنًا سِوَى النِّسَاءِ، وَكَانَ قَوْلُهُ ﷺ: " فِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ " عَلَى فِتْنَةِ نَعْمِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِنْ أُمَّتِهِ، فَكَانَتْ تِلْكَ الْفِتْنَةُ أَوْسَعَ وَأَكْثَرَ أَهْلًا مِنَ الْفِتْنَةِ الْأُخْرَى، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا فَأَهْلُهَا الْأَهْلُ الَّذِينَ قَدْ دَلَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ عَلَيْهِمْ مِنْ هُمْ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ ﷺ مِنْ تَحْذِيرِهِ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَمِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ .

(١١) صحيح مسلم (٢٠٩٨ / ٤) رقم ٩٩ (٢٧٤٢).

(١٢) صحيح البخاري (٨٠ / ٨) رقم ٦٣٧٤.

ثم اعلم أن من أخطر أسباب الهزيمة حب الدنيا وكرهية الموت، ولم تتكالب أمم الأرض على المسلمين إلا بسبب حب الدنيا وكرهية الموت، قال تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} سورة التوبة (٢٤).

ففي هذه الآية يضع المسلمين في مواجهة التجربة والاختبار لإيمانهم، واختيار ما يحبون وما يؤثرون، فالإيمان في جانب والآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال والديار في جانب آخر، وعلى المؤمن أن يختار بين الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله، وبين أهله، وماله ودياره. وعن ثوبان رضي الله عنه - مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَقْفٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا". قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ قَلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: "أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُتَاءً كَغُتَاءِ السَّيْلِ، تُنْتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ". قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: "حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ". (١٣)

الآثار التي وردت عن الصحابة والتابعين في التحذير من فتنة الدنيا

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه - ((ارْتَحَلَتِ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتِ الْآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَعَدَا حِسَابٍ وَلَا عَمَلٍ)). (١٤)

وعن نوف البكالي رحمه الله -، قَالَ: رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - خَرَجَ فَتَنَزَرَ إِلَى النُّجُومِ، فَقَالَ: "يَا نَوْفُ أَرَأَيْتَ أَنْتَ أُمُّ رَامِقٍ؟ قُلْتُ: بَلْ رَامِقٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: يَا نَوْفُ طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا، الرَّاعِبِينَ فِي الْآخِرَةِ، أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بَسَاطًا، وَتَرَابَهَا فِرَاشًا، وَمَاءَهَا طَبِيبًا، وَالْقُرْآنَ وَالِدَعَاءَ دِتَارًا وَشِعَارًا، قَرَضُوا الدُّنْيَا عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ". (١٥)

وعن مالك بن دينار رحمه الله -، قَالَ: ((حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَالنِّسَاءُ حِبَالَةُ الشَّيْطَانِ، وَالْحَمْرُ دَاعِيَةُ كُلِّ شَرٍّ)). (١٦)

وعن الفضيل بن عياض رحمه الله -، يَقُولُ: ((جُعِلَ الشَّرُّ كُلُّهُ فِي بَيْتٍ، وَجُعِلَ مُفْتَاخُهُ حُبُّ الدُّنْيَا، وَجُعِلَ الْحَيْرُ كُلُّهُ فِي بَيْتٍ، وَجُعِلَ مُفْتَاخُهُ الرَّهْدُ فِي الدُّنْيَا)). (١٧)

(١٣) أخرجه أحمد (٨٢ / ٣٧) رقم ٢٢٣٩٧ وابن أبي الدنيا في "العقوبات" (٥)، وغيرهم وانظر الصحيحة (٩٥٨).

(١٤) صحيح البخاري (٨ / ٨٩) معلقاً.

(١٥) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (١ / ٧٩)، شعب الإيمان للبيهقي (١٣ / ١٧٩) رقم ١٠١٤.

(١٦) الزهد لابن أبي الدنيا (ص: ٢١٢) (٤٩٧).

(١٧) الزهد لابن أبي الدنيا (ص: ١٣٦) رقم ٢٧٩.

## نماذج من حياة النبي ﷺ في البعد عن الدنيا وشهواتها

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ، قَالَ: اضْطَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ، فَأَثَّرَ فِي جِلْدِهِ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ كُنْتُ أَدْنَتْكَ أَفْرَشَنَا لَكَ شَيْئًا يَفِيكَ مِنْهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا أَنَا وَالدُّنْيَا، إِنَّمَا أَنَا وَالدُّنْيَا كَرَابِ اسْتَنْظَلَتْ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا". (١٨)

وَعَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ: ((إِنَّمَا كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ أَدَمًا حَشْوُهُ لَيْفٌ)). (١٩)

وعن عمرو بن الحارث -رضي الله عنه- ، قال: ((ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا، ولا درهمًا، ولا عبداً، ولا أمةً، إلا بخلته البيضاء التي كان يركبها، وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة)). (٢٠)

وَعَنْ عُرْوَةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-، عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: وَاللَّهِ يَا ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ، ثُمَّ الْهَلَالِ، ثُمَّ الْهَلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ، قَالَ: قُلْتُ: يَا خَالَئُ فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ؟ قَالَتْ: ((الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، فَكَانُوا يُرْسَلُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْبَانِهَا، فَيَسْقِينَاهُ)). (٢١)

أضرار حب الدنيا وتعلق القلب بها وكيف أنها تفسد الدين

اعلم أيها السائر إلى الله أن حب الدنيا هو الذي عمّر النار بأهلها، والزهد في الدنيا هو الذي عمّر الجنة بأهلها، والسكر بحب الدنيا أعظم من السكر بالخمير، فصاحب الدنيا الذي تعلق قلبه بها لا يفيق إلا في ظلمة اللحد.

قال يحيى بن معاذ -رحمه الله-: "الدنيا خمر الشيطان، فمن سكر منها لم يفيق إلا في مسكن التالمين". (٢٢)

وأقل ما فيها أنها تلهي عن حب الله وذكره، ومن ألهاه ماله فهو من الخاسرين، وإذا شغل القلب عن ذكر الله سكنه الشيطان، وصرفه حيث أراد ومن فقهه في الشر أن يرضيه ببعض أعمال الخير ليريه أنه يفعل الخير.

يقول ابن القيم -رحمه الله- وحب الدنيا والتعلق بها يفسد الدين من عدة وجوه:

١- أن حبها يقتضى تعظيمها وهى حقيرة عند الله، ومن أكبر الذنوب تعظيم ما حقر الله.

(١٨) صحيح رواه ابن ماجه في سننه (٥/ ٢٢٩) رقم ٤١٠٩ وغيره وانظر الصحيحة للألباني (٤٣٩ و ٤٤٠).

(١٩) صحيح مسلم (٣/ ١٦٥٠) رقم ٣٨ (٢٠٨٢).

(٢٠) صحيح البخاري (٦/ ١٥) رقم ٤٤٦١.

(٢١) صحيح مسلم (٤/ ٢٢٨٣) رقم ٢٨ (٢٩٧٢)، واللفظ له، وصحيح البخاري (٣/ ١٥٣) رقم ٢٥٦٧.

(٢٢) الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدى، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٤٠ هـ) (ص: ٢٤٦).

٢- أن الله لعنها، ومقتها، وأبغضها، إلا ما كان له فيها، ومن أحب ما لعنه الله ومقته وأبغضه فقد تعرض للفتنة، ولمقته وغضبه.

٣- أنه إذا أحبها صيرها غايتها، وتوسل إليها بالأعمال التي جعلها الله وسائل إليه وإلى الدار الآخرة، فعكس الأمر وقلب الحكمة، فها هنا أمران: أحدهما: جعل الوسيلة غاية، والثاني: التوسل بأعمال الآخرة إلى الدنيا، وهذا شر معكوس من كل وجه، وقلب منكوس غاية الانتكاس، وهذا هو الذى انطبق عليه: حَذُو الْفُذَّةِ بِالْفُذَّةِ، قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفًا لِيَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْحَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (هود: الآية: ١٥ - ١٦).

٤- أن محبتها تجعلها أكبر همّ العبد، ومقصوده الأول يبذل كل شيء لتحصيلها حتى ولو كان حراماً كما في الحديث "مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ". (٢٣)

٥- أن محبتها أشد الناس عذاباً بها، فهو يعذب في الدنيا بتحصيلها والسعي فيها ومنازعة أهلها، وفى دار البرزخ بفواتها والحسرة عليها، وكونه قد حيل بينه وبينها على وجه لا يرجو اجتماعه بها أبداً، ولم يحصل له هناك منها ما يعوضه عنها، فهذا أشد الناس عذاباً في قبره، ويعذب يوم لقاء ربه قال تعالى: {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} (التوبة: الآية: ٥٥) قال بعض السلف "يعذبهم بجمعها وتزهق أنفسهم بحبها وهم كافرون بمنع حق الله فيها". (٢٤)

#### بعض وسائل التغلب على حب الدنيا وقطع القلب عن التعلق بها

وأنتع ما عالج به المؤمن أمر دينه قطع حب الدنيا من قلبه فإذا فعل ذلك هان عليه ترك الدنيا وسهل عليه طلب الآخرة ولا يقدر على قطعه إلا بأداته أما أني لا أقول أداته الفقر وقلة الشيء وكثرة الصيام والصلاة والحج والجهاد ولكن أصل أداته الفكر وقصر الأمل ومراجعة التوبة والطهارة وإخراج العز من القلب ولزوم التواضع وعمارة القلب بالتقوى وإدامة الحزن وكثرة ألهم بما هو وارد عليه، وما أكثر من يعمل هذه الأعمال التي وصفتها وحب الدنيا في قلبه زائد. (٢٥)

يقول ابن القيم رحمه الله:- إن الرغبة في الدنيا أصل المعاصي الظاهرة فهي أصل معاصي القلب من التسخط والحسد والكبر والفخر والخيلاء والتكاثر.

(٢٣) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٥) أحمد (٢١٥٩٠)، والدارمي (٢٢٩)، وانظر الصحيحة (١/ ٧٦١) رقم ٤٠٤.

(٢٤) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) (ص: ٢٢٥).

(٢٥) آداب النفوس للمحاسبي (ص: ١٣٦).

ويقول أيضاً: إن الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، وإن الرغبة في الدنيا تطيل الهم والحزن، وإنما تحصل الهوم والغموم والأحزان من جهتين إحداهما الرغبة في الدنيا والحرص عليها والثاني التقصير في أعمال البر والطاعة.

قال بعض السلف: من أحب الدنيا فليوطن نفسه على تحمل المصائب ومحب الدنيا لا ينفك من ثلاث: هم لازم وتعب دائم وحسرة لا تتقضي. (٢٦)

وذلك أن محبتها لا ينال منها شيئاً إلا طمحت نفسه إلى ما فوقه فعن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ((لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَإِدْيَانٍ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ)). (٢٧)

يقول أحد العلماء:

إِذَا اسْتَعْنَى النَّاسُ بِالْدُّنْيَا، فَاسْتَعْنَى أَنْتَ بِاللَّهِ، وَإِذَا فَرِحُوا بِالْدُّنْيَا، فَأَفْرَحَ أَنْتَ بِاللَّهِ، وَإِذَا أُنْسُوا بِأَحْبَابِهِمْ فَأَجْعَلْ أَنْسَكَ بِاللَّهِ، وَإِذَا تَعَرَّفُوا إِلَى كِبْرَائِهِمْ لِيُنَالُوا بِهِمُ الْعِزَّةَ وَالْكَرَامَةَ فَتَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ، وَتَوَدَّدْ إِلَيْهِ تَتَلَّ بِذَلِكَ غَايَةَ الْعِزِّ وَالرَّفْعَةَ وَالْكَرَامَةَ. (٢٨)

ولا علاج لحب الدنيا إلا الإيمان بالله واليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فرأى حقاقتها ونفاسة الآخرة ورأى أن الدنيا ليست بأهل أن يلتفت إليها أو ترمق بعين المحبة خلأً للسواد الأعظم المنهمكين فيها.

قال بعضهم العجب ممن يغتر بالدنيا وإنما هي عقوبة ذنب. (٢٩)

|                       |                              |
|-----------------------|------------------------------|
| إن لله عبادة فطنا     | طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا   |
| نظروا فيها فلما علموا | أنها ليست لحي وطننا          |
| جعلوها لجة واتخذوا    | صالح الأعمال فيها سفنا. (٣٠) |

## والحمد لله رب العالمين

(٢٦) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٢٦٦).

(٢٧) صحيح البخاري (٦٤٣٦) واللفظ له. ، وأخرجه مسلم (١٠٤٨) من حديث أنس بن مالك

(٢٨) موارد الظمآن لدروس الزمان (٢/ ١٧٦).

(٢٩) موارد الظمآن لدروس الزمان (٣/ ١٠٧).

(٣٠) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال (ص: ٥٤٥).